

بين قعقة السلاح ومسرحية الصراع: مصفوفة الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط



تعيش منطقة الشرق الأوسط والعالم أجمع حالة من الاستنفار على وقع حشد عسكري أمريكي ضخم؛ يضم حاملات طائرات وبوارج حربية، تزامناً مع إخلاء قواعد عسكرية مثل عين الأسد والتنف، وقاعدة الأسطول السادس في البحرين، وتقليل عدد القوات في قاعدتي العديد في قطر والأمير سلطان في السعودية. وتتوارد التحليلات العسكرية العالمية مؤكدة أن الضربة الأمريكية باتت قاب قوسين أو أدنى، بينما تقابلها إيران بتهديد ووعيد بـ“قاصم يطال كيان يهود والدول التي تنطلق منها الغارات، فضلاً عن القواعد الأمريكية في المنطقة”.

إن المتأمل في الواقع يدرك أن المتصرف الحقيقي في هذه المنطقة هو أمريكا، التي تريدها منطقة خالصة لها، خالية من أي شراكة أو منافسة. فهي التي تمسك بزمام القضية الفلسطينية، وهي التي تُشعل الحروب وتطفئها وفق مصالحها؛ فحرب السودان - على سبيل المثال - أشعلت بين أدواتها؛ حميدي والبرهان، للقضاء على النفوذ البريطاني المتمثل في المكون المدني، وهي التي قلّصت دور الإمارات في اليمن عبر ذراعها محمد بن سلمان، وهي التي احتوت الثورة السورية لمنع سقوط نظام الأسد قبل نضوج البديل، مستخدمةً أوراقاً متعددة (روسيا، وإيران، والأنظمة العربية)؛ حتى إذا جُهر البديل في ليلة ظلماء تبخر الأسد وجيشه ومرتزقه، وانتهى دور أدوات إيران وجبهة الممانعة وقسده، والدور قادم على غيرهم.

إن هذا الحشد والتهديد بالحل العسكري يأتي بعد أن أحكمت أمريكا قبضتها على النفط الفنزويولي وأغلقت ملف الاستثمارات الصينية والروسية في أمريكا الجنوبية. والمهدف الآن هو منطقة الشرق الأوسط؛ لتحقيق غايتين استراتيجيتين:

1. الاستقرار القسري: جعل المنطقة هادئة تماماً تحت القبضة الأمريكية المطلقة، تحقيقاً لنبوءات كيسنجر وبريجنسكي، بحيث لا تخرج قطرة نفط أو غاز إلا بإذن واشنطن، المالك الفعلي للممرات والموانئ والثروات.

2. تحجيم الصين: دفع بكين للجلوس إلى طاولة التفاوض من موقع الضعف، تحت قاعدة فرض السلام بالقوة، وإجبارها على القبول بمحض مدددة في التجارة العالمية بعد السيطرة على طرق الإمداد.

تؤمن الإدارة الأمريكية الحالية بأن زمن الأمم المتحدة ومجلس الأمن قد ولّ، فهو نتاج حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، أما الآن فهو زمن الترامبية وشعار “أمريكا أولاً”. وكيان يهود بات متربذاً عالمياً ولا يستمد حياته إلا من الضخ الأمريكي ومساندة الأنظمة العربية الوظيفية؛ ولولا التدخل الأمريكي لكان في خير كان.

ومع ذلك، تدرك أمريكا التي فشلت في حروفيها على مدار 50 عاماً (من فيتنام إلى الصومال وبيروت والعراق وأفغانستان) أن الحرب الشاملة ليست في مصلحتها، وقد تكون نتائجها كارثية على وضعها الداخلي المأزوم؛ ما قد يهدد بتزويتها عن قمة الهرم العالمي. لذا، تتجلّى أهداف هذه “المسرحية” في الاعتماد على “وكلاً أقوىاء” (إيران، كيان يهود، السعودية، مصر، تركيا) ينفذون الوظيفة الأمريكية بإخلاص، مع إحكام السيطرة على النفط لابتزاز الصين.

يبقى السؤال الجوهرى حول النتيجة المراد تحقيقها: هل يستطيع ترامب فرض هذا الواقع في المدة المتبقية من ولايته؟ أم سيعمد إلى تعديل الدستور ليسمح بولايات إضافية؟ أم أن حبال الكونجرس أو رصاصات الاغتيال ستسبقه؟ إن الأيام حبل بالأحداث، والواقع يكشف أن الصراع ليس إلا إعادة ترتيب للأدوار فوق مسرح الشرق الأوسط لتحقيق السيادة الأمريكية المطلقة.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزبي التحرير

سامي أبو سبيتان